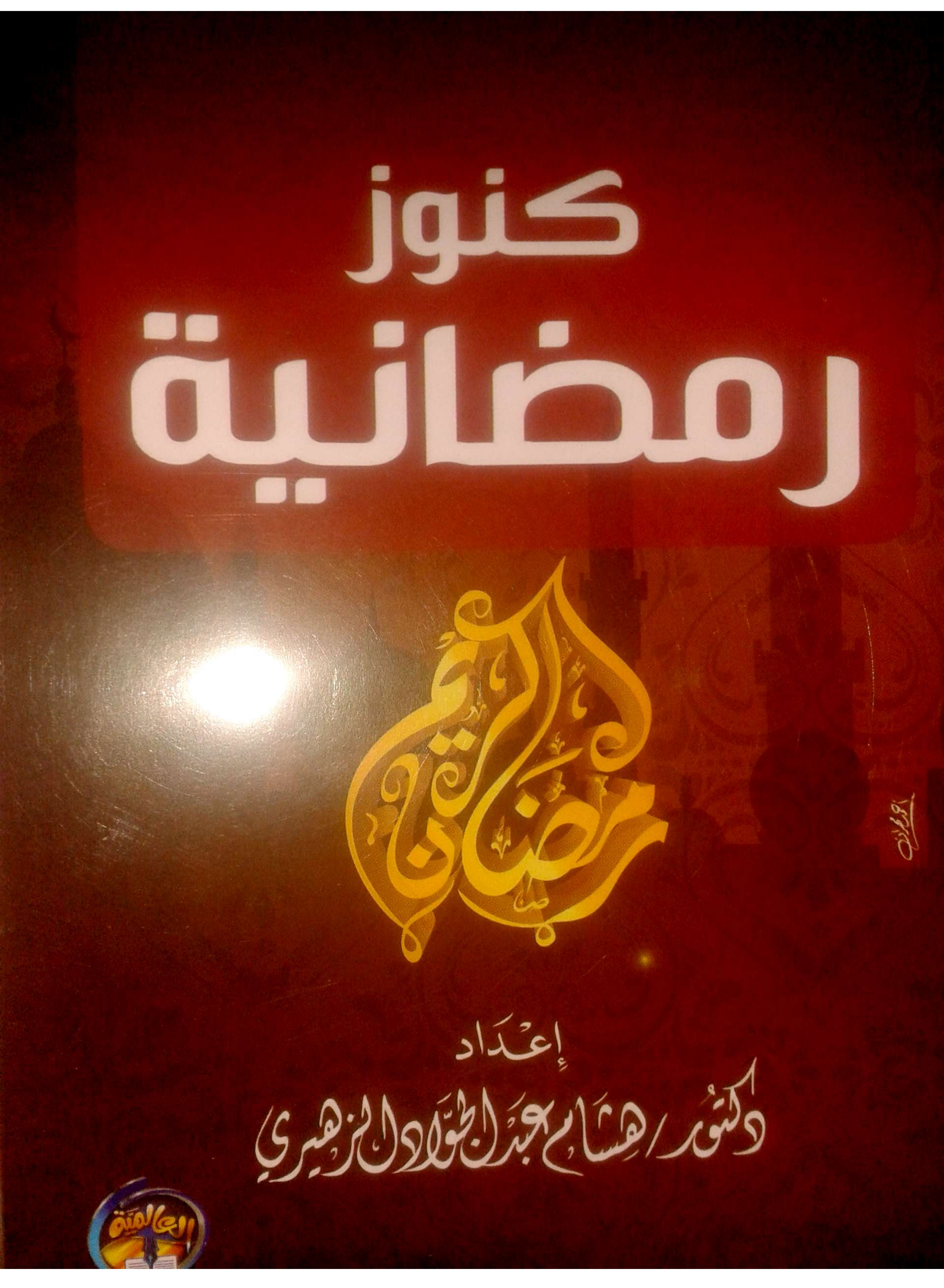
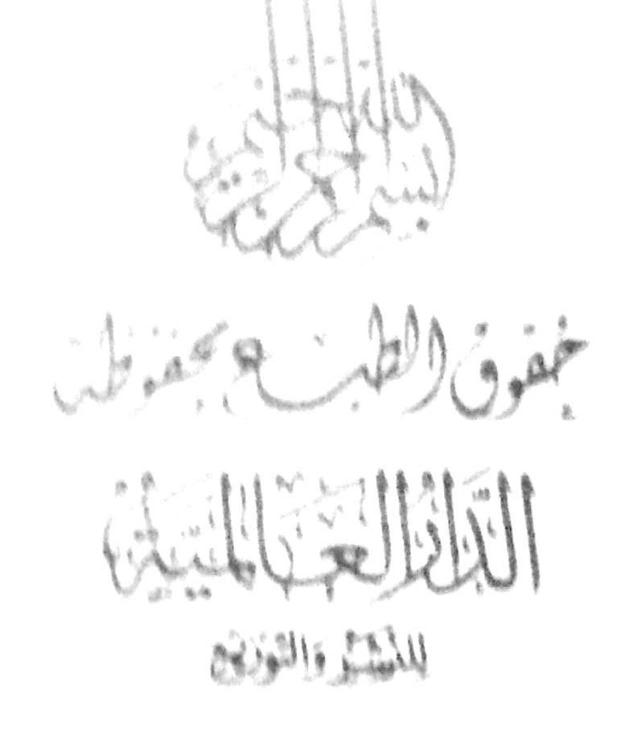

كنوز
رمضانية
رمضان كريم
إعداد
دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري
العالمية

كنوز رمضانية

كتبه

دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري



الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٠٣٠م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978.977.744.137.7



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ رمز: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي، محطة مصر - الإسكندرية
محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٠٢/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٠٢٠٣/ للفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٠٢٠٣
E.mail: alamia_misr@hotmail.com

وغيره من أمور القلب والإيمان. فنصيحتي لنفسي ولإخواني بالاهتمام بالأحاديث كلِّها في أمور الإيمان ما لم تكن موضوعة أو منكرة أو باطلة أو شديدة الضعف، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبه

دكتور/ هشام عبد الجواد الزهيري

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أمّا بعد:

فإنّ شهر رمضان هو أفضل شهور العام وأعظمها عند المؤمنين، إلّا أنّ الطريقة المثلى لاستغلاله وتحصيل معاني الإيمان فيه قد تخفى على كثيرٍ من المسلمين. فهذه محاولةٌ لتوضيح الطريقة المثلى للاستفادة من رمضان، وعنوان هذه الطريقة على وجه العموم هو تطبيق ما ورد في الأحاديث الصحيحة والضعيفة؛ فإنّ العمل بالأحاديث الضعيفة ـ مع اعتقاد عدم الجزم بنسبتها إلى رسول الله ﷺ ـ أولى بلا شكٍ وأنفع من الأخذ بكلامٍ لابن القيم أو لابن رجب أو لابن الجوزي فضلًا عن نصائح المتأخرين ومواعظهم في رمضان

فضل رمضان متاحٌ لجميع المسلمين

قد يظنّ كثيرٌ من المجتهدين في الطاعة أنّ فضل رمضان والاستفادة منه مقتصرة على المجتهدين دون غيرهم، وهذا غير صحيح. نعم، لا ننكر أنّ كمال الفضل إنّما هو لمن اجتهد في الطاعة ولكن لكلِ مسلمٍ حظُّه ونصيبه من الخير ولذا كثرت الأحاديث التي تدل على عموم فضل رمضان حتى أنّه قد ورد في الحديث: **«قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ»** [رواه ابن حبان وصححه الألباني] فلولا عموم المغفرة والفضل في رمضان لما دعا ﷺ على مَنْ لم يُغفر لَهُ في رمضان!!

وروى الطبراني في الأوسط: **«بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، إِذَا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَمَتَى؟»** [وضعفه الألباني].

ويدل لعموم الفضل ما رواه ابن حبان والبيهقي ـ وضعفه الألباني ـ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ وَتَحَفَّظَ مِمَّا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَفَّظَ كَفَّرَ مَا قَبْلَهُ»** وهو يدل على أنّ صيام المرء

وحفظه لحدود الصيام وأركانه وشروطه وتحفظه من المحرمات، يوجب تكفير السيئات. وروى ابن أبي الدنيا «مَنْ أَتَى عَلَيْهِ رَمَضَانُ صَحِيحًا مُسْلِمًا صَامَ نَهَارَهُ وَصَلَّى وِرْدًا مِنْ لَيْلِهِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَحَافَظَ عَلَى صَلاتِهِ فِي الجَمَاعَةِ، وَبَكَّرَ إِلَى جُمَعِهِ، فَقَدْ صَامَ الشَّهْرَ وَاسْتَكْمَلَ الأَجْرَ، وَأَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَفَازَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ» قال أبو جعفر: جائزة لا تشبه جوائز الملوك.

وهو يدل على أنَّ أولى ما ينبغي التحفظ فيه هو غض البصر وحفظ الفرج واللسان واليد عن الحرام. كما يدل على أهمية جُمعُ رمضان وأنّه ينبغي أن يبكّر فيها المرء إلى الصلاة. كما يدل على أهمية المحافظة على صلاة الجماعة في رمضان وأنّه ينبغي للمرء ألّا تمرّ عليه ليلةٌ فيه بدون قيام. وفي حديث أبي هريرة المرفوع - وهو ضعيف - عن فضل شهر رمضان: «وَيَغْفِرُ فِيهِ إِلَّا لِمَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: يَأْبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ».

ـ ويدل لهذا المعنى أيضًا قوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ» [رواه مسلم]، فانظر كيف جعل المغفرة منوطةً باجتناب الكبائر، وهذا يدل على أنّ وقوع الصغائر فيه لا يمنع المغفرة للذنوب؟!

ـ ويدل أيضًا لعموم الفضل في رمضان لكل مسلم ما رواه ابن أبي الدنيا ـ بسندٍ ضعيف ـ: «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ تَكُونَ السَّنَةُ كُلُّهَا رَمَضَانَ» وقوله «أُمَّتِي» يشمل جميع الأمة بما فيهم المقصرون في الطاعة.

وروى ابن خزيمة ـ وصححه وضعفه الألباني ـ: «وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، وَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصْلَتَيْنِ لَا غَنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا؛ فَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غَنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الجَنَّةَ

وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ» فانظر كيف دلّ على أربعة أعمال سهلة ممكنة لكل مسلم، وهي: الاستغفار وقول لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وسؤال الله الجنَّة والاستعاذة به من النار؟! وقوله «أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ» لا يعارض الأحاديث الأخرى الأصح منه والتي تثبت وجود العتق في كل رمضان كحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، يَعْنِي فِي رَمَضَانَ» [رواه البزار وصححه الألباني]. وحديث: «لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءُ» [رواه أحمد وقال المنذري: إسناده لا بأس به]، أقول لا تعارض بين هذين الحديثين وحديث ابن خزيمة؛ فإنَّ النبي ﷺ قد أخبر في حديث ابن خزيمة بحال عموم المسلمين، فهم يجدون في أول رمضان رحمةً، والرحمة هي ما تعرض في قلوب المؤمنين من حنينٍ إلى الطاعة ونفورٍ عن المعصية ورغبة في البعد عنها والتخلص منها، وسمِّيت تلك المعاني بالرحمة لما في المعصية من مشقةٍ وعذابٍ وضنكٍ ونكدٍ، ولما في الطاعة من سعادةٍ ورحمةٍ وراحةٍ وهناءةٍ.

فإذا دخل العشر الثاني من رمضان وقطع المؤمنون في العشر الأول شوطًا من الطاعة، نال عمومُ المؤمنين في وسط رمضان المغفرة من الله لما يزداد فيه من اجتهادهم ولما يكثر فيه من استغفارهم وتتكامل فيه توبتهم. فإذا دخل العشر الأخير تكامل اجتهادهم واستحقوا العتق من النيران، هذا بالنسبة لعموم المؤمنين. وأمّا الأحاديث الأخرى فهي تبين أنّ من عباد الله من يكونون على حال الكمال الذي يستحقون به العتق من النار من أول ليلةٍ في رمضان وبعضهم بعد عدة ليالٍ وهكذا، وعلى اختلافهم في ذلك يكون العتق من النار، فلله في كل ليلة عتقاء من النار بحسب اختيار الله لهم وبحسب كمال أحوالهم، وهذا هو وجه الجمع بين الأحاديث، والله أعلم.

ـ والشاهد من الحديث أنّه أخبر عن الرحمة التي تكون في أوله وعن المغفرة التي تكون في وسطه وهي لعموم المسلمين.

ومما يدل كذلك على عموم الفضل في رمضان لجميع المؤمنين حديث ابن خزيمة: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الجَنَّةُ، وَشَهْرُ المُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِي رِزْقِ المُؤْمِنِ فِيهِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ! فَقَالَ ﷺ: «يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ أَوْ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ عَلَى مَذْقَةِ لَبَنٍ» [صححه ابن خزيمة وضعفه الألباني]، فانظر كيف جعل الفريضة التي يؤديها عموم المسلمين في رمضان، جعلها بسبعين فريضة؟ وكيف جعل ثواب تفطير الصائم المغفرة والعتق وهذا متاحٌ لعموم

المسلمين فإنّ ثواب ذلك يُنال بالتفطير على شربة الماء، أو على تمرة.

فائدة: روى البخاري عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ (البقرة: ١٨٧). فتأمّل حال هذا الصحابي الجليل الذي كان يعمل في رمضان طيلة يومه حتى قرب وقت الإفطار، وهو قطعًا أحسن قلبًا وإيمانًا منّا، وهذا يدل على أنّ الفضل عند

الله إنّما هو بما في القلوب وليس بالأعمال الظاهرة، والسعي على النفس والأولاد بالكسب واجبٌ والإكثار من قراءة القرءان والتطوع نافلة، والواجب أعظم حقًا.

فتح أبواب الخير في رمضان:

وقد دلّت الأحاديث على فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الجنّة في رمضان، فقد روى البخاري ومسلم: **«إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»** وفي رواية لمسلم: **«فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ»**.

وفي حديث للنسائي - وحسنه الألباني - : **«أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ»** ولا تعارض بين هذه الأحاديث؛ فإنّ فتح أبواب الجنّة يستلزم فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة. وفتح هذه الأبواب يقتضي من العبد زيادة العمل الصالح، ففي

الحديث: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ» [رواه مسلم]، ولذا كان يحرص ﷺ على صيامهما كما في حديث الترمذي ـ وصححه الألباني ـ : «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»، وفي الحديث: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ» [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني].

ـ وفتح هذه الأبواب أيضًا يعني تيسير الأعمال الصالحة وتسهيلها على العباد، ولذا ورد في رواية الترمذي والنسائي ـ وصححها الألباني ـ : «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ».

- كما أنّ فتحها يعني قبول الأعمال الصالحة وصعودها إلى الله، ففي الحديث: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ، أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» [رواه مسلم]، وفي الحديث أيضًا: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]، وهذا يدل على أنّ هذه الأذكار تصعد إلى العرش. وروى الطبراني - وضعفه الألباني وكلام المنذري يوحي بتحسينه - : «كَلِمَتَانِ إِحْدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نَاهِيَةٌ دُونَ الْعَرْشِ وَالْأُخْرَى تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

- كما أنّ فتحها يعني قبول الدعاء واستجابته بل وأحيانًا رفعه ليصعد منها، ففي الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ:

الصَّائِمُ حَتَّى يُفطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعوَةُ المَظلُومِ يَرفَعُهَا اللهُ فَوقَ الغَمَامِ وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنصُرَنَّكِ وَلَو بَعدَ حِينٍ» [رواه أحمد والترمذي وحسنه]، وروى البزار - وحسنه الألباني - : «لَا يُغنِي حَذَرٌ مِن قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَم يَنزِل، وَإِنَّ البَلَاءَ لَيَنزِلُ فَيَلقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعتَلِجَانِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ»، وظاهر قوله: «فَيَلقَاهُ الدُّعَاءُ» أنَّ ذلك يكون في السماء قبل نزوله إلى الأرض.

- ولأنَّ أبواب الجنَّة - وبالتالي أبواب الرحمة وأبواب السماء - مفتحة في رمضان، كان الدعاء مستجابًا في رمضان مطلقًا ليلًا ونهارًا، وفي الحديث: «وَإِنَّ لِكُلِّ مُسلِمٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ دَعوَةً مُستَجَابَةً أَي فِي رَمَضَانَ».

- وكذا يُستجاب الدعاء عند نزول المطر لفتح أبواب السماء، وقد وردت أحاديث تقوى إلى درجة الحسن بمجموعها تدل على استجابة الدعاء عند نزول المطر بل قد وردت أحاديث ضعيفة تفيد فتح أبواب السماء عند نزول

واستجابته عند فتح أبواب السماء ما رواه أحمد - وصححه الشيخ أحمد شاكر -: «إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». وفي رواية للطبراني - وصححها الألباني -: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجَ عَنْهُ؟».

ضرورة التقوى والإحسان في نهار رمضان كليله:

· قد يظنّ البعض أنّ الاجتهاد مقتصرٌ على ليل رمضان أو أنّ ليله أعظم أهميةً من نهاره، مع أنّ صيام نهاره فريضة وقيام ليله نافلة، والفريضة أعظم ثوابًا وأهميةً وأثرًا في القلب من النافلة، وفي قوله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» دليلٌ على ذلك، بل في قوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، يَعْنِي فِي

رَمَضَانَ، وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً» [رَوَاهُ الْبَزَّارُ وصححه الألباني]، فتأمل التنبيه على وجود عتقاء في أيام رمضان ووجود دعوة مستجابة في أيام رمضان!!

- وأعظم ما ينبغي الاهتمام به في نهار رمضان هو تحسين الصيام وحفظه من المعاصي، وقد ورد التنبيه على ذلك كما في رواية ابن أبي الدنيا التي ذكرناها، وكذا في رواية أبي الشيخ - وضعفها المنذري -: «فَإِذَا صَامَ مُسْلِمٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَغْتَبْ، وَفِطْرُهُ طَيِّبٌ (أي من مال حلال)، سَعَى إِلَى الْعَتَمَاتِ مُحَافِظًا عَلَى فَرَائِضِهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ سَلْخِهَا» و«الْعَتَمَاتِ» أي صلاة العشاء، وفي الحديث: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [رواه البخاري]، وفيه أيضًا: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ، فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ» [رواه ابن خزيمة وصححه الألباني]، وفي رواية النسائي - وحسنها المنذري -:

الفائدة الكبرى من الإكثار من صيام التطوع هي تدريب النفس على التحفظ والتقوى في أيام الصيام أكثر من غيرها، فكلما كان الصيام أكثر كان التحفظ أكثر وكان تعوّد النفس أعظم حتى تصير عادة النفس في التحفظ. ولعلّ هذا من أسرار إكثار النبي ﷺ من الصيام في شعبان ومتابعته الصيام فيه حتى كان ﷺ يصوم شعبان كلّه إلّا قليلًا.

افتح عامك بخير:

وذلك لأنّ شهر رمضان هو بداية عام العمل عند الله وشعبان هو نهاية عمل العام، ويدل لذلك قوله ﷺ عن شهر شعبان: **«ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»** [رواه النسائي وحسنه الألباني]، فقوله **«تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ»** أي عمل العام كلّه، وهذا يدل على أنّ شهر شعبان هو نهاية عمل العام. ولعلّ هذا سرٌّ من أسرار استحباب الاجتهاد في الطاعة في

شعبان ليكون العبد قد ختم عامه في شعبان بخير وافتتح عامه في رمضان بخير، فيُغفر له ما بينهما، وعند الطبراني ـ وحسّن المنذري إسناده ـ : «**مَنِ اسْتَفْتَحَ أَوَّلَ نَهَارِهِ بِخَيْرٍ وَخَتَمَهُ بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: لَا تَكْتُبُوا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ**» [ضعفه الألباني]، فيُقاس عليه استفتاح العام بخير وختمه بخير.

ـ وخير ما يَفتتحُ به المرء عامه ويختمه به هو الاستغفار، ولذا قال ﷺ ـ كما في رواية ابن خزيمة التي مرّت آنفًا ـ : «**فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ**» بل إنّ الأحاديث التي جعلت ثواب قيام رمضان وصيامه هو المغفرة، فيها إشارة إلى أهمية الإكثار من الاستغفار في رمضان.

ضرورة الإكثار من الذكر في رمضان:

ولا شك أنّ أفضل الذكر قراءة القرءان، وأنّ أولى ما يشغل به المرءُ وقته في رمضان هو تلاوة القرءان، ولكن لابد أيضًا من الإكثار من ذكر الله عمومًا، ويدل لذلك حديث

ابن خزيمة الذي ذكرناه آنفًا وفيه: «فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ».

ـ ومن أعظم ما يدل أهمية الذكر في رمضان خصوصًا، بل وأهميته عمومًا قوله ﷺ لمن سأله: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ فَقَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» [رواه الترمذي وصححه الألباني]، فنصيحته له بالذكر تدل ـ كما ذكر ابن القيم ـ على أنّ الإكثار من الذكر والمداومة عليه تعينه على الأعمال الصالحة الأخرى، وهذا من أعظم الفوائد. وكذا قوله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ» [رواه ابن أبي الدنيا وضعفه الألباني] وقد صح عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ (الناس: ٤) أنّه الشيطان يوسوس في صدر العبد فإذا ذكر العبدُ ربه خنس الشيطان، والخنوس هو الاختفاء، فإذا كان

الشيطان مسلطًا على العبد على الدوام ولا يرده عن العبد إلّا ذكر الله، فجديرٌ بالعبد لينتفع بعبادته ويجد حلاوتها أن يكثر من الذكر على الدوام؛ فإنّ نفع العبادة وحلاوتها من أعظم ما يحرص الشيطان على حرمان المؤمن منه، والذكر من أعظم العبادات التي تضعف الشيطان وتُضعف وساوسه في قلب المؤمن. وكلما كان الذكر أكثر وكان التدبر فيه أعظم، كان أضعف لوساوس الشيطان، ولذا وردت الأوامر بالإكثار من الذكر وليس بمجرد الذكر ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٤١)، ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

الدعاء من أعظم ما ينبغي على المؤمن في رمضان:

والأحاديث التي تدل على استجابة الدعاء في رمضان فيها تنبيهٌ على أهمية الدعاء في رمضان، وأنّه ينبغي للمؤمن أن يكثر منه في رمضان. وقد أشار القرءان إلى ذلك بإيراد آية الدعاء ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)
بين آيات أحكام الصيام في رمضان ممّا يدل على استجابة
الدعاء في رمضان.

ومعلومٌ أنّ أولى ما يدعو به المؤمن هو ما يتعلق بصلاح
قلبه وصلاح دينه، ولا يستقيم دعاء المؤمن بذلك حتى
يوقن أنّ أعظم ما ينبغي أن يشغله هو أمر دينه أولًا، وأن
يوقن بتقصيره الشديد في هذا الشأن ثانيًا. أمّا يقينه بأنّ هذا
هو أعظم وأولى ما يهتم به فيكفي عليه دليلًا قوله ﷺ:
«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي» أي الذي به
استقامة أمري كلّه وصلاحه والذي إذا فسد انفرط عليّ
أمري وشأني كلّه، وقد دلّ القرءان أيضًا على هذا المعنى في
قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا
وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٤)، ومعنى الآية:
مَنْ أراد أن ينال خير الدنيا فعليه بطاعة الله فهو الذي يملك
أمر الدنيا والآخرة، ومَنْ أطاعه رزقه خيري الدنيا والآخرة.

كما أنّ العقل يدل المرء على ذلك أيضًا؛ إذ أنّ صلاح أمر الدين يوفّر للمرء حياةً خالدةً في سعادةٍ وهناءةٍ، وصلاح أمر دنياه محضًا لا يسلم من نكدٍ ومشقةٍ كما أنّه لا يوفّر له سعادةً وراحةً إلّا في وقتٍ محدودٍ منقضٍ. وأمّا يقينه بتقصيره الشديد في هذا الشأن فيصل إليه بمحاسبته لنفسه على عمله ومراجعته لكيفية أداءه للأعمال الصالحة، وكيف خشوعه وإخلاصه وصدقه فيها، ولا شك أنّه سيجد في ذلك تقصيرًا شديدًا. ويزداد شعوره بالتقصير في رمضان لأنّه إذا حاول الاجتهاد في تلاوة القرءان وفي الذكر وفي الإكثار من الصلاة والإطالة فيها، ووجد في نفسه مللًا أو فتورًا أو تكاسلًا فضلًا عن عجزه عن الإطالة والمداومة، فإنّه سيوقن حينئذٍ بضعف الإيمان في قلبه؛ فعلامة كمال الإيمان هي استلذاذ العبادة وعدم الملل أو الفتور عنها وعدم التكاسل عنها إلّا ما لابد منه ممّا لا يكاد ينفك عنه أحدٌ. فإذا وجد ذلك وأيقن بتقصيره فعليه أن ينتهز الفرصة في رمضان في الإلحاح في

الدعاء بصلاح نفسه؛ فإنه لا صلاح للنفس أبدًا ولا قوة لها على الطاعة إلّا بحول الله ومعونته، وفي الحديث: «واهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ»، وفيه أيضًا: «وَآتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا» وقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (الشمس: ٩) أي: قد أفلح مَنْ زكّى اللهُ نفسه.

ـ واعلم أنّ الدعاء لا يخيب المرء معه أبدًا قال زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤)، ولكن لابد من الإلحاح فيه والمداومة عليه وعدم الانقطاع عنه أبدًا مع اليقين بأنّه سيؤتي ثماره ولو بعد حين. ومن أولى الأوقات باختيار الدعاء فيها وقت السحر وبين الأذان والإقامة وفي حال السجود.

ـ واعلم أنّ الدعاء لا يقتصر نفعه على تحقيق ما تطلبه، بل إنّ الخير الذي يجهله العبد ربما يفوق الذي يعلمه بكثير، ولذا ينبغي أن يكون دعاء العبد ـ كما علّمنا النبي ﷺ ـ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

تنبيه: قد دلّ حديث ابن خزيمة الذي ذكرناه آنفًا على أنّ أولى ما يدعو به المؤمن في رمضان هو سؤال الجنّة والاستعاذة من النار لقوله في الحديث: «وَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ».

فائدة: وهذه جملة من جوامع الدعاء التي يحتاجها المؤمن عمومًا وتعظم الحاجة إلى الدعاء بها والإلحاح بسؤالها في رمضان خصوصًا، ومعلومٌ أنّ الدعاء أرجى للإجابة في رمضان:

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» [رواه مسلم].

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» [رواه البخاري].

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» [رواه مسلم].

ـ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي» [رواه مسلم].

ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» [رواه مسلم].

ـ «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِيَ الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» [رواه مسلم].

ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا» [رواه أحمد وصححه الألباني].

ـ «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [متفقٌ عليه].

ـ «رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

ـ «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي» [رواه أحمد وحسنه الألباني].

ـ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي. اللَّهُمَّ أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي» [رواه أحمد وصححه الألباني].

فائدة: واعلم أنّ الصحابة لم تكن تهتم بالإكثار من الأدعية بقدر ما تهتمّ بتدبر الدعاء وفهم معانيه والإخلاص فيه والإلحاح به كثيرًا ولذلك تجد أنّ الواحد منهم ربما يدعو بدعاءٍ واحدٍ ولكن يكثر من الدعاء به وإدمان الإلحاح على الله به مع الفهم التام لمعانيه والتدبر في مقاصده.

الفرائضَ الفرائضَ:

اعلم أنّ أولى ما ينبغي الاشتغال بتحسينه وإتقانه في رمضان وغيره هو الفرائض، ففي الحديث القدسي: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»** [رواه البخاري].

وقد تكلّمنا فيما مضى على فريضة الصيام وكيفية إتقان الصيام وحفظه ممّا يفسده. وبقي أن نذكر هنا فريضة الصلاة والتي هي أعظم ثوابًا وأعظم حقًا من فريضة الصيام؛ فإنّ الصلاة هي أحبّ العمل إلى الله. ومن أعظم ما ينبغي الحرص على إتقانه صلاتي العشاء والفجر، ففي الحديث: **«مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ**

فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ» [رواه مسلم]، والمراد: مَنْ صلى الفجر والعشاء فكأنّما قام الليل كلّه كما بينته رواية أخرى للحديث. فثواب قيام ليل رمضان كلّه يناله العبد بإتقان صلاتي العشاء والفجر. وقد شاع عند كثيرٍ من الناس - في هذه الآونة - إطالة السهر في رمضان حتى يصلّي أحدهم الفجر وهو كالنائم لا يكاد يتدبر أو يخشع فيها وهذا خطأٌ كبير، فإذا كنّا نقول للمتعبّد لا يصح منك أن تطيل السهر في رمضان ولا غيره دون أن تأخذ قسطًا من النوم يمكنك التدبر والخشوع معه في صلاة الفجر، فماذا نقول لمن سهر في غير عبادة؟! نعم، يستثنى من قيام الليل حتى الفجر العشر الأواخر من رمضان، وما يكون فيها من إيمانيات كفيلٌ بتهيئة القلب للخشوع في صلاة الفجر رغم طول السهر، وأمّا غير ذلك فالأصل عدم السهر من أجل إتقان صلاة الصبح.

- وقد فقه السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ هذا المعنى - أعني الاهتمام بإتقان الفرائض - ونبّهوا على ذلك. قال سعيد بن المسيب: ما

دخل عليّ وقت صلاةٍ إلّا وقد أخذتُ أهبتها، وما دخل عليّ قضاء (أي أداء) فرضٍ إلّا وأنا مشتاقٌ إليه. وقال أبو سليمان الداراني: كلُّ مَنْ كان في شيء من التطوع يلذ به فجاء وقت الفريضة فلم يقطع وقتُها لَذَّةَ التطوع فهو في تطوعه مخدوع. وقال وهيب بن الورد: آفة الخلق في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعملُ جوارح بلا مواطأة القلب، وإنّما مُنِعوا الوصول بتضييع الأصول. وسئل ذو النون المصري: ما لنا لا نقوى على النوافل؟ فقال: لأنكم لا تصحون الفرائض. وقال محمد بن ثابت: من كانت همّته في أداء الفرائض لم يكمل له في الدنيا لذة. وقال وهيب بن الورد: لا يكن همّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همّه في إحكامه وتحسينه، فإنّ العبد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه. [رواهنّ كلّهنّ في حلية الأولياء].

- فعلى العبد أن يتقن الفرائض أولًا قبل تحسين النوافل، فإذا فعل ذلك فقد نال أعظم الحظّ من العبادة، ففي

الحديث: «اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» [صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

حلاوة القرءان:

اعلم أنّ القرءان عمومًا له حلاوةٌ إلّا أنّ حلاوته يشعر بها المؤمنون أكثر في شهر رمضان؛ قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) فذكر أنّ القرءان هدًى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان في رمضان، وهو كذلك طوال العام ولكن إدراك المؤمن لذلك يعظم في شهر رمضان.

ـ واعلم أنّ حضور القلب وتدبره للقرءان يزداد في الليل عمومًا، إلّا أنّ حضور القلب وتدبره يعظم في ليالي شهر رمضان. وكلما أكثر المرء من قراءة القرءان في نهار رمضان، كان أعون له على تدبره والتأثر به واستشعار حلاوته في ليل رمضان. وقد ورد عن غير واحدٍ عن أصحاب رسول الله ﷺ أنه كان إذا قرأ القرءان رأى مثل الظلة في السماء فيها

مصابيح، وأنه كلما قرأ اقتربت من الأرض أكثر، وأخبر النبي ﷺ أنّ تلك الملائكة تنزلت لتلاوة القرءان. فدلّ على أنّ تلاوة القرءان يلازمها تنزل الملائكة واجتماعها وصحبتها للمؤمن. ومعلومٌ أنّ حضور الملائكة يطرد الشياطين ويورث قلب المؤمن السكينة والخشوع والإخبات فيعظم حينئذٍ تدبره للقرءان وتأثره بآياته. وكلما أكثر العبد من تلاوة القرءان، كان أعظم لاجتماع الملائكة وصحبتهم له، ولذا قال ﷺ: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: وَذَكَرَ مِنْهُمَا: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»** [متفقٌ عليه]، فانظر إلى قوله **«فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»** و**«آنَاءَ»** أي ساعات، وتأمّل كيف جعل الغبطة لمن يكثر من تلاوته آناء الليل وآناء النهار، وهذا لعِظم أثر ذلك على القلب.

المنهج النبوي الوسط في الاجتهاد في رمضان:

في الأحاديث التي مرّت وفيها الأمر بالإكثار من الدعاء في رمضان خصوصًا بسؤال الجنّة والاستعاذة من النار، وكذا

الأمر بالإكثار من قول لا إله إلا الله والاستغفار، مع ما أجمعت عليه الأمة من استحباب الإكثار من قراءة القرءان في رمضان، ذلك كلّه يدل على ضرورة التوازن بين قراءة القرءان والإكثار منه مع الإكثار من الدعاء والذكر عمومًا. ولا شك أنّه ينبغي أن يكون حظّ القرءان أكثر من عموم الذكر والدعاء، ولكن لا ينبغي نسيان حظ النفس من حاجتها إلى الإكثار من الدعاء في رمضان والإكثار من ذكر الله على العموم.

ـ كما أنّ النفس إذا دامت على نوعٍ واحدٍ من الطاعة دون غيره فإنّها تُصَاب بالملل سريعًا بخلاف تنوّع الطاعات فإنّه ألطف بها وأرفق وأدعى للتمتع بحلاوة الطاعات كلها.

ـ وممّا لا ينبغي التفريط فيه في رمضان ولا في غيره أذكار ما بعد الصلاة وأذكار الصباح والمساء والدعاء والاستغفار بالسحر، نعم قد يحتاج المرء إلى تقليل أوراده من الذكر في رمضان ليوفّر وقتًا أكثر لقراءة القرءان لكن لا ينبغي الإخلال بالأوراد بالكلية ولا ترك نصيبٍ حسنٍ منها.

فائدة: اعلم أنّ قراءة القرءان في نهار رمضان والإكثار منها من أعظم ما يعين العبد على تدبر القرءان عند تلاوته وسماعه بالليل، بل وعلى حسن الصوت به والتغني، وقد كان أبو موسى الأشعري الذي مدحه النبي ﷺ بأنّه قد أُوتي مزمارًا من مزامير آل داود، كان يكثر من قراءة القرءان ليل نهار كما في الصحيحين أنّ معاذًا سأله: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْءَانَ؟ فَقَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا. قال الحافظ ابن حجر: أي ألازم قراءته ليلًا ونهارًا شيئًا بعد شيء وحينًا بعد حينٍ، مأخوذ من فَواق الناقة وهو أن تُحلب ثمّ تُترك ساعة حتى تَدِرَّ ثمَّ تُحْلَبُ هكذا دائمًا. وعبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كما في الصحيح لـمّا كبر كان يقرأ ورده بالنهار ليتقوّى على قراءته بالليل. وبذلك يستطيع المرءُ أن يكثر من قراءة القرءان في رمضان دون أن يخالف نهيه ﷺ عن قراءة القرءان في أقلّ من ثلاث، إذ يمكنه أن يقرأ ثلث القرءان نهارًا ويعيده مرةً ثانيةً ليلًا.

ضرورة الحذر من العجب في رمضان :

لمّا كان المؤمنُ غالبًا ما يجتهد في الطاعة في رمضان، فإنّه ربما يداخله شعورٌ بالعجب بالنفس وباجتهادها وينسى عظيم تقصيرها في رمضان وفي غيره، ولذا نبّه الشرع وأشار إلى ضرورة الحذر من العجب، فمن إشارات الشرع حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: **«قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»**، فانظر كيف علّمها سؤال العفو، والعفو يدل على وجود تقصيرٍ ونقصٍ يُستَحَقُّ عليه العقاب. وأيضًا حديث ابن خزيمة السابق ذكره، وفيه: **«فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَغْفِرُونَهُ»** بل في قوله في نفس الحديث: **«وَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غَنَاءَ بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ»**، فأمره بسؤال الجنّة والاستعاذة من النار فيه إشارة إلى استحقاق العبد العذاب والعقوبة، فينبغي أن يسأل ربه النجاة من النار.

بل في قوله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفقٌ عليه]. وقوله: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفقٌ عليه]؛ إذ جعل ثواب الصيام والقيام مغفرة الذنوب ولم يجعله درجاتٍ في الجنّة مثلًا، ففي ذلك تنبيهٌ على أنّ المؤمن لو نال من رمضان مغفرة ذنوبه لكفاه. بل في جعل ثواب كل هذه الأعمال المغفرة مع أنّها تقع جميعها في رمضان دليلٌ على أنّ القيام بكل هذه الأعمال لو قوي على تحقيق المغفرة مرةً واحدةً لكفى. فياليت العبد يخرج من صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر بمغفرة الذنوب مرةً واحدة!!

وفي الحديث الضعيف: «نَهَى أَنْ يَقُولَ الْمَرْءُ: صُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ» قِيلَ في تعليله: كَرَاهَة التَّزْكِيَةَ للنفس وقيل لأنه لابد من وقوع تقصيرٍ من العبد في الصيام والقيام.

لا تنس الأعمال القلبية:

وذلك لأنّ الأعمال القلبية أعظم ثوابًا وأعظم أثرًا في القلب من الأعمال البدنية كما أنّ الانتفاع بالقرءان يعظم مع زيادة الأعمال القلبية في قلب المؤمن. كما أنّ تدبر القرءان والتلذذ بحلاوته إنّما يعظم بزيادة الأعمال القلبية. بل إنّ فهم آيات القرءان وفهم إشاراته ومواعظه ولطائفه لا يكمل إلّا مع كمال الأعمال القلبية. وقد أخبر القرءان بأنّ غرض الصيام إنّما هو تحقيق وتكميل الأعمال القلبية؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، والتقوى عملٌ قلبيٌ أو اسمٌ جامعٌ لأعمالٍ قلبية من الخشية والخوف والرهبة والإخلاص وغيرها من أعمال القلوب. ولعلّ هذا سرٌّ من أعظم أسرار مشروعية الإكثار من تلاوة القرءان في رمضان؛ فإنّ قراءة القرءان والعكوف على تدبره وتفهمه من أعظم أسباب زيادة أعمال القلوب. ولعلّ هذا أيضًا

من أعظم أسباب مشروعية الصدقة في رمضان وتأكد استحبابها؛ فإنّ الصدقة من أعظم أسباب زيادة اليقين في قلب المؤمن، واليقين هو العمل القلبي الجامع الذي يجمع أعمال القلوب الأخرى - كما بينّا في كتاب (اليقين) ولعلّ هذا أيضًا سرٌّ من أسرار ارتباط شهر رمضان بالجهاد في سبيل الله، فإنّ الجهاد أيضًا من أعظم أسباب زيادة اليقين في قلب المؤمن.

- واعلم أنّ قلب المؤمن عرضةٌ للكسل والفتور في رمضان خاصةً مع طول العبادة والاجتهاد، وزيادة أعمال القلوب من أعظم أسباب زوال الكسل والفتور عن القلب.

كما أنّ أعمال القلوب هي مقياس المؤمن لزيادة إيمانه أثناء رمضان وبعد رمضان؛ فإنّه إذا زاد خشوعه وتدبره للقرءان وزاد إخلاصه ويقينه وتوكله فهذه علامة زيادة إيمانه وإلّا فلا. فينبغي للمرء إذًا أن يراقب أعمال القلوب في نفسه وأن يتخذ الأسباب التي تزيدها في قلبه.

حال النفس في آخر رمضان وبعده:

اعلم أنّه ينبغي للمؤمن أن يستشعر أثناء رمضان حلاوته التي تجعله - كما مرّ في الحديث - يتمنى أن تكون السنة كلّها رمضان. وإذا كان كذلك فإنّه يجد عند انصرام شهر رمضان ألمًا وحزنًا بخلاف الكسول أو الغافل فإنّه يجد مشقةً في الصيام والقيام فإذا به يفرح لانصرام الشهر. قال النبي ﷺ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** قال الخطابي: احتسابًا أي عزيمةً، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبةً نفسُه بذلك غيرَ مستثقلٍ لصيامه ولا مستطيلٍ لأيامه. أ.هـ.

وقال ابن رجب: قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحنّ ومن ألم فراقه تئن. كيف لا تجري للمؤمن على فراقه دموعٌ وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع. أين حرق المجتهدين في نهاره، أين قلق المتهجدين في أسحاره، فكيف حال من خسر في أيامه ولياليه ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه. يا

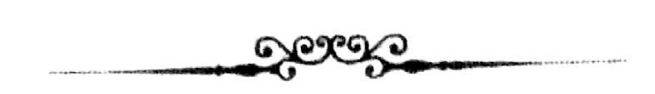
شهر رمضان ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفةٌ للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبةٍ وإقلاع ترفو من الصيام كلّما تخرّق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يُطْلَق، عسى من استوجب النار يعتق. أ.هـ.

ـ كذلك ينبغي للمؤمن في آخر رمضان أن يكون مهمومًا بقبول عمله، قال ابن رجب: كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثمّ يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من ردّه، وهؤلاء الذين ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون : ٦٠). رُوي عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا لقبول العمل أشدّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة : ٢٧). وعن فضالة بن عبيد قال: لأن أكون أعلم أنّ الله تقبل مني مثقال حبةٍ من خردل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، لأنّ الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. قال ابن دينار: الخوف على العمل

ألّا يُتقبل أشدّ من العمل. وقال عطاء السلمي: الحذر الاتقاء على العمل ألّا يكون لله. وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهمّ أَيُقبَل منهم أم لا؟ أ.هـ.

ـ وأمّا بعد رمضان، فاعلم أنّ النفس إذا خرجت من رمضان دون أن تصير نفسًا مطمئنةً موقنةً مخلصةً مخبتةً راضيةً فلا أقلّ من أن يلمس العبدُ من نفسه زيادةً في إيمانها، وعلامة ذلك هي مزيد خشوعها في الطاعات ومزيد إخلاصها في أدائها وصدقها في تحسينها وتكميلها ومزيد الاشتياق إليها والتألم عند فواتها والطمأنينة والسكينة عند فعلها. وكذا الرغبة في فعلها كرغبة الجائع في الطعام، نعم لا تحقق النفسُ الكمالَ في ذلك إلّا إذا صارت نفسًا مطمئنةً، ولكن كلما زاد إيمان العبد، وجدت نفسه طرفًا من ذلك، يزداد بزيادة إيمانها ويقلّ بضعف إيمانها. وكلما زاد ما تجده النفسُ من ذلك، كان أدلّ على مزيد إيمانها وكذا على عظيم

أثر الطاعة فيها وأنّها قد ازدادت بطاعتها خيرًا. وكلما ضعف ما تجده النفسُ من ذلك، كان أدلّ على ضعف إيمانها وعلى ضعف أثر الطاعة فيها.





الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة



Scanned by CamScanner